# الحلقة الثامنة من كتاب
# تجربتي فـي الكتـابـة التـاريـخيـــة
## بقلم
## : الاستاذ الكبيرالدكتور فاروق عمر فوزي
### المبحث السادس

رحلات "ابن بطوطة.. مكوكية أم ماراثونية

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أحلام الرجال تضيـق

*****

تمنح جامعة بغداد – استنادًا إلى تعليمات جامعية – العضو التدريسي الأكاديمي "تفرغًا علميًا" لمدة سنة دراسية كل خمس سنوات يقضيها في الجامعة. كما تعير الجامعة عددًا من أساتذتها إلى جامعات عربية وأجنبية لمدد متفاوتة تعتمد على اتفاق بين الجامعتين على شروط "الإعارة".

والواقع أن نسبة ليست كبيرة من الأساتذة يستفيدون من "الإعارة"، ونسبة أقل يتمتعون "بالتفرغ العلمي" لما يترتب على هذا الأخير من التزامات منها أن يعود الأكاديمي وقد أنجز بحثًا في مجال تخصصه كان قد اتفق عليه مسبقًا مع الجامعة. وبعد عودته إلى الوطن يقدم "سمنارًا" يشرح فيه المحاور الرئيسية لبحثه ثم يقدم نسخة من البحث إلى عمادة البحث العلمي.

ولا شك فإن الأكاديميين ينشطون أكثر في مجال "الايفاد" للمؤتمرات والندوات العلمية حيث يشاركون بنسبة معقولة سنويًا بحيث لا يؤثر على سير العملية التدريسية في الكلية وعلى مصلحة الطلبة في تحصيل العِلم.

ومنذ انتمائي إلى قسم التاريخ كلية الآداب بجامعة بغداد في أيلول/ سبتمبر من عام 1967م حاولت أن أستفيد من هذه العروض التي تقدمها الجامعة، جهد الإمكان وبقدر ما تسمح به الظروف.

وقد أشرتُ في مبحث سابق أن رئيس قسم التاريخ بجامعة لندن كان قد قدّم لي عرضًا فور انتهائي من المناقشة للبقاء في قسم التاريخ كعضو تدريسي، وكذلك طلبت لجنة المناقشة من جامعة لندن نشر أطروحتي على حساب الجامعة. إلا أن كلا العرضين لم يتما حيث فضّلت العودة إلى العراق لدوافع والتزامات عديدة.

وقد حدث أن بدأت بالتدريس مباشرة في قسم التاريخ وحاضرت في التاريخ العباسي (اختصاصي) ومنهج البحث التاريخي لطلبة السنوات المتقدمة، وكان منهم من هو أكبر مني سنًّا! وفي نهاية السنة الأكاديمية قدم وفد من جامعة الرياض من أجل التعاقد مع أساتذة في مختلف الاختصاصات. وقد وقع الاختيار عليّ في التاريخ الإسلامي. وكانت فرصة للتعرّف على البلاد وأهلها ولأداء العمرة وزيارة مكة المكرمة والمدينة المنورة.

وفي المدة التي قضيتها بين 1968 – 1970م كرّست جهودي على إعداد كتابي **(طبيعة الدعوة العباسية)**، والجزء الأول من كتابي **(العباسيون الأوائل)** في طبعته الأولى القديمة؛ حيث نشرتها على حسابي الخاص في بيروت. وفي الوقت نفسه كانت أطروحتي للدكتوراه تطبع في بغداد؛ حيث نشرت (بالإنكليزية) في سنة 1969م.

عدتُ من الرياض سنة 1970م إلى قسم التاريخ في بغداد، حيث تزوجت من ليلى وجيه علي نجا زميلتي في قسم اللغة الإنكليزية بكلية الآداب في تموز 1971م ورزقنا في سنة 1972م بابنتي الأولى هالة وهي الآن "بكالوريوس" في الصيدلة تخرجّت من جامعة البتراء الأردنية في عمّان. وفي هذه المدة التي قضيتها في بغداد بين 1970م – 1977م نشرت كتابين: الأول الجزء الثاني من **(العباسيون الأوائل)** في دمشق 1973م، والثاني **(الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية)** الطبعة الأولى القديمة في بغداد سنة 1974م.

وفي هذه الفترة قام الملحق الثقافي الأردني بمحاولة لاستحصال موافقة جامعة بغداد على إعارتي إلى الجامعة الأردنية. ولكن المحاولة لم تنجح لقرب العهد بإعارتي السابقة إلى جامعة الرياض.

كما وحصل في الفترة ذاتها وفي سنة 1975م حصرًا أن فوجئت بتعييني مع نخبة من أساتذة جامعة بغداد لا يتجاوز عددهم الخمسة سفراء في ديوان وزارة الخارجية العراقية. ولم يكن أغلبنا يعلم بهذا القرار الذي كان هدفه – كما أشيع – هو تطعيم السلك الخارجي بنخبة من الجامعيين للارتقاء بمستوى التمثيل الدبلوماسي، فقد كان بعض السفراء قد عيّن سفيرًا بسبب درجته الحزبية ولم يكن يحمل شهادة بكالوريوس جامعية في حينه.

أما بالنسبة لي فقد استغربت حين قرأت الخبر في الجريدة، فلم أستشر ولم أسع ولم أهدف يومًا لكي أكون سفيرًا في وزارة الخارجية، بل كوّنت نفسي وأعددتها على أساس أكاديمي بحت. إلا أن القرار كان نقلاً إلى الخارجية وكان عليَّ كزملائي الأخريين أن نلبي القرار.

وحين ذهبت لتوديع عميد كلية الآداب المرحوم الأستاذ الدكتور نوري القيسي، قلت له أرجو أن أبقى مشرفًا على طلابي في الدراسات العليا، خاصة وأن بعضهم قطع مرحلة في إعداد الأطروحة وليس من مصلحته أن يكون تحت إشراف أستاذ آخر. فقال لي كيف وأنت منقول وليس معارا إلى الخارجية. فأجبته أنني سأعود إلى الجامعة مكاني الطبيعي الذي أستطيع أن أعطي فيه، ذلك أنني أكاديمي قبل أي شيء آخر. فأرجو أن تمهلني بعض الوقت.

وبالفعل كنت أحتاج إلى أن يمضي بعض الوقت قبل أن أتمكن من تقديم مذكرة لوزير الخارجية أطلب فيها عودتي إلى الجامعة حيث مكاني الطبيعي. وبعد مرور ستة أشهر على دوامي في ديوان وزارة الخارجية قدمت طلبًا بالعودة للجامعة، وقد استجاب وزير الخارجية لطلبي والحمد لله. ولا زلتُ أتذكر أحد الأصدقاء الذي جاء متأخرًا ليهنئني على تعييني سفيرًا قائلاً وأين يجدون مثلك وجهًا مبتسمًا ومرونة في التعامل وهدوءًا لإشغال منصب دبلوماسي، ولم يكن هذا الصديق يعلم أن بداخلي مرجلا يغلي من شدة قلقي من احتمال عدم الموافقة على عودتي إلى قواعدي في الجامعة سالمًا.

وفي العام 1977 – 1978م حصلت على تفرغ علمي Sabbatical إلى (معهد الدراسات العربية والإسلامية) بجامعة لانكاستر بانكلترا وكان الموضوع المقترح (مصادر تاريخ عمان المحلية). وفي جامعة لانكاستر التقيت بالأستاذ الدكتور وليد عرفات الذي كان أستاذًا بقسم اللغة العربية بجامعة لندن في الستينات حين كنتُ طالبًا أحضّر للدكتوراه هناك. وقد رحّب بي أجمل ترحيب وطلب مني التدريس في المعهد ووافقت على ذلك. وكنت دائم الترحال بين مكتبات بريطانيا المهمة بحثًا عن مخطوطات ومصادر عُمانية. فقد سافرت عدة مرات إلى مكتبة المتحف البريطاني ومدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بلندن وإلى مكتبات أكسفورد وكامبرج ومانجستر. وكان الجهد موفقًا والحصيلة مثمرة حيث أعددت كتاب **(مقدمة في مصادر التاريخ المحلي لعمان)** ونشره اتحاد المؤرخين العرب بغداد سنة 1979م.

وفي لانكاستر أنعم الله تعالى بابنتي الثانية ندى سنة 1978م التي تخرجت من قسم العمارة في كلية الهندسة بالجامعة الأردنية وعملت بعد تخرجها في مؤسسات هندسية في عمّان، ثم تزوجت من الفاضل نور صباح الخطيب وتعيش الآن في مانجستر بانكلترا مع زوجها وابنتها البكر نسرينه حفظهم الله. وخلال تواجدي في انكلترا حصلت على عضوية الجمعية الآسيوية الملكية سنة 1978م.

بعد أن قضيت سنتين في قسم التاريخ ببغداد استلمت خلالها رئاسة قسم التاريخ سنة 1978م، أعيرت خدماتي سنة 1980م إلى قسم التاريخ بجامعة الإمارات العربية المتحدة في العين (أبو ظبي). وحين أعددت نفسي والعائلة للسفر بدأت حرب الخليج الأولى وأغلقت الأجواء على الطيران المدني، وفي مطار بغداد أكملنا إجراءات السفر ودخلنا في باحة الترانزيت، ولكن جاءت التعليمات بإيقاف الطيران وأعيدت حقائبنا إلينا. ولكنني كنت عازمًا على السفر فاستأجرت سيارة أجرة من ساحة حافظ القاضي ببغداد، ودفعت للسائق أضعاف الثمن وسافرنا برًا إلى الأردن. وكانت السفرة ميسورة برعاية من الله تعالى؛ حيث وصلنا عمّان ومكثنا يومًا أو يومين سافرنا بعدها بالطائرة إلى (أبو ظبي). وكان وصولي متأخرًا نوعًا

ما بسبب أحداث الحرب، وحين وصلتُ وجدتُ "البديل المصري"!! حاضرًا وقد وصل قبلي باعتبار أنه غدا من الصعوبة مجيئي. ووقف عميد الكلية وكان عراقيًا مكتوف اليدين تجاه الحالة، وبسبب موقف العميد المتردد قررت مقابلة الأمين العام للجامعة، وكان إماراتيًا وفوجئت أنه من تلاميذي في كلية الآداب ببغداد، فرحّب بي أجمل ترحيب وطلب من المسئولين تسجيلي مباشرة وفورًا مع بقاء "البديل المصري" كذلك! وكانت سنوات مثمرة التقيت خلالها بنخبة من الطلبة الإماراتيين والعمانيين الذين غدوا الآن مسئولين في الدولتين، كما أكمل بعضهم الدراسة وغدوا "دكاترة" في الجامعة.

وفي جو الإمارات كان الوضع ملائمًا للبحث وقد أعددت عدة كتب منها: **العباسيون الأوائل** الجزء الثالث، الطبعة القديمة الذي نشرته على حسابي في عمّان الأردن سنة 1983م. النظم الإسلامية، دبي، سنة 1983م، الخليج العربي في العصور الإسلامية، دبي– بيروت، 1983م. وفي العين وهبنا الله تعالى ابنتي الثالثة حنان سنة 1982م، وقد تخرجت من كلية الصيدلة بجامعة العلوم والتكنولوجيا في إربد بالمملكة الأردنية الهاشمية وعملت في عدة مؤسسات دوائية في عمّان.

وفي العين بجامعة الإمارات العربية المتحدة زار قسم التاريخ الأستاذ الدكتور محمد عبد الحي شعبان سنة 1982م ودعاني للالتحاق بمركز دراسات الخليج العربي وقسم التاريخ بجامعة أكستر بإنكلترا كأستاذ متعاقد ولمن عشر سنوات، ومرة أخرى اعتذرت حيث كانت ارتباطاتي بالعراق وأهله أقوى من هذا العرض السخي والعرض الذي سبقه من جامعة لندن. ولم أكن أعلم ما سيحل بالعراقيين من حصار وكوارث... ويحضرني الآن قول جان جاك روسو في كتابه (العقد الاجتماعي): "على الحاكم ألا يحمّل شعبه أكثر مما يستطيع ذلك الشعب أن يقدّمه"!! بل تذكرت أكثر القول البليغ لأندريه مورو: "يخيّل إليَّ أن على الشعوب أن تتمنى على الله بعد اليوم أن يرزقها رؤساء لا يحلمون بتحقيق الأمجاد الشخصية، بل يكون همهم أن يجنبوها المصائب"، وإلا لما دوّنت ابنتي حنان التي ولدت في العين في خضم حرب الخليج الأولى في خواطرها وهي تتكلم عن نفسها!! بعد تدمير العراق واستقرارها في المهجر: "**لقد حرموها حتى من الذكرى، فأصبحت تبحث عن صورة جديدة لوطنها، فعسى أن تحملها الطرق يومًا ما لتعود في النهاية وتنام في سريرها...**"

لقد كان التعاقد مع جامعة الإمارات خمس سنوات، ولكن جامعة بغداد استدعتنا فجأة سنة 1983م بعد ثلاث سنوات فقط مبررة ذلك بالحاجة إلى خدماتنا، فكان نكثًا للعقد المبرم بين الجامعتين لم تستطع جامعة الإمارات تجاهه إلا إنهاء عقودنا استجابة لطلب جامعة بغداد. وكان عددنا أكثر من 17 أستاذاً جامعيًا!!

ومثلما كان عقد السبعينات من القرن العشرين، كذلك كان عقد الثمانينات بالنسبة لي سنوات نشاط في التدريس والبحث العلمي، فقد شاركت وبدعوة من أ.د. شعبان مدير مركز دراسات الخليج العربي ورئيس قسم التاريخ بجامعة أكستر، وكذلك بدعوة من الجمعية البريطانية لدراسات الشرق الأوسط في سلسلة من المؤتمرات في أكستر من 1985، 1986م، 1987م، 1988م، وحضرتُ في دار الأستاذ الدكتور شعبان حفلة تكريم سمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي بمناسبة حصوله على شهادة الدكتوراه من جامعة أكستر فكانت ذكرى ممتعة.

وفي الثمانينات كذلك وفي سنة 1989م بالذات دعيت من قبل مؤسسة Japan Foundation للمشاركة في مؤتمر في التاريخ الإسلامي باسم **(المدينية في الإسلام)** Urbanization in Islam وقدمت بحثًا في **(الأصناف في المدينة الإسلامية)**. وقد قوبلت بالتقدير من قبل المؤرخين المختصين بجامعة طوكيو. كما تمخض اللقاء عن قبول طالب ياباني للدراسة في بغداد للحصول على شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي تحت إشرافي.

لقد كانت زيارة طوكيو فرصة فريدة للتعرف على الشعب الياباني والمؤسسات الأكاديمية اليابانية، وقد أبهرني النظام رغم الحركة الدائبة والازدحام والسرعة. وفي بغداد سنة 1989م رزقنا الله تعالى بحارث الذي يدرس حاليًا في قسم العمارة بكلية الهندسة بالجامعة الأردنية. وفي الثمانينات أيضًا انتهت حرب الخليج الأولى سنة 1988م لتبدأ بعد مدة قصيرة حرب الخليج الثانية، **وبدأ الحصار يؤثر على أهل العراق الذين فقدوا الكثير من شبابهم خلال الحربين فكان الجو مشحونًا بالقلق والإعياء والترقب. وقد وجدت فرصة للابتعاد عن تلك الأجواء حين حصلت على موافقة من جامعتي**

**مانجستر واكستر البريطانيتين لقضاء تفرغ علمي سنة 1993م، وبعد موافقة الكلية والجامعة والوزارة على تفرغي لدراسة عهد (ناصر بن مرشد اليعربي العُماني) بدأت الإعداد للسفر.**

**لقد كانت العلاقات مع المملكة المتحدة مقطوعة، وكان الطيران المدني في الأجواء العراقية ممنوعًا، وقد اضطرتني هذه الحالة وللمرة الثانية منذ سنة 1980م إلى السفر والعائلة برًا إلى المملكة الأردنية الهاشمية من أجل الحصول على التأشيرة من السفارة البريطانية في عمّان. وكنت قد هيأت كل الوثائق المطلوبة على أمل الحصول على التأشيرة، ولكن القنصل البريطاني كان فظًّاً غليظ القلب، لم يعر اهتمامًا إلى الوثائق والدعوات الرسمية من الجامعات البريطانية ورفض منحي وعائلتي التأشيرة بعد انتظار دام أكثر من شهر.**

**كان أمامي طريقان** لا ثالث لهما: إما العودة إلى جامعتي في العراق أو أن أدبر أمر الحصول على عقد عمل مع إحدى الجامعات. وكنت، والحمد لله، قد فكّرت بالبديل الثاني **وتمكن صديق طفولتي وشبابي وزميلي العزيز أ. د. أحمد عبد الله الحسو من الحصول على عقد لي للتدريس بكلية الآداب بجامعة التحدي في مصراته في ليبيا**، وقد وصلت والعائلة إلى مصراته متأخرًا لأن ليبيا كانت هي الأخرى محاصرة جوًا وكان على الحصول على تأشيرة للذهاب بالطائرة إلى تونس ثم الذهاب من هناك برًا إلى ليبيا.

ولم يكن الأمر سهلاً للحصول على تأشيرة إلى تونس رغم أنها ترانزيت وأنني أستاذ جامعي لولا مساعدة قدمها أحد الخيرين الأردنيين والذي كان صديقًا لأحد الدبلوماسيين في السفارة التونسية. لقد كان للطريق البري من تونس إلى مصراته طويلاً وصعبًا ناهيك عن التأخير على الحدود وتعقد الإجراءات.

بعد الاستقرار في مصراته وجدتُ فرصة من الوقت للرد على المعاملة غير اللائقة للقنصل في السفارة البريطانية في الأردن، وقد كتبت زوجتي المتخصصة في الأدب الإنكليزي رسالة بليغة باسمي إلى وزير خارجية بريطانيا آنذاك لا أزال أحتفظ بنسخة منها عبرت فيها بصدق عن تصرفات الموظف الدبلوماسي البريطاني. ولم ننتظر طويلاً حتى وصل الرد باسم وزير الخارجية نفسه يعتذر عما بدر من الموظف ويطلب مني أن أقدم طلبًا جديدًا إلى السفارة البريطانية في تونس حيث كانت العلاقات الدبلوماسية الليبية البريطانية مقطوعة. على أني لم أتابع الموضوع حيث كان تركيزي في ذلك الوقت موجهًا إلى محاولة التعاقد مع جامعة آل البيت بالأردن.

إن بقائي في كلية الآداب بمصراته كان قصيرًا لم يدم أكثر من سنة أكاديمية 1994/1993م وجدت من الشعب الليبي الطيب كل ترحاب واحتضان. فقد حدث وأن تأسست جامعة آل البيت في المفرق بالمملكة الأردنية الهاشمية، وقدمت طلبًا للعمل فيها وجاء الجواب بالموافقة ومع انتهاء السنة الدراسية سافرت والعائلة برًا إلى تونس وكانت رحلة الإياب مع العائلة صعبة وطويلة، ومن تونس سافرنا بالطائرة إلى الأردن على حسابي الخاص ولم أنتظر الطائرة المستأجرة من ليبيا. والتحقت بجامعة آل البيت بالمفرق أيلول/ سبتمبر 1994م في أول تأسيسها حيث كان رئيسها الأستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت، وقد قمتُ وأعضاء الهيئة التدريسية القلائل بتأسيس قسم التاريخ ووضع الخطط الدراسية والمقررات وتوصيفها، وكانت هذه البرامج تناقش بصورة مسهبة من قبل مجلس الجامعة، حيث كان رؤساء الأقسام أعضاء في مجلس الجامعة. كما بدأنا بعد فترة وجيزة بوضع خطط ومقررات لدراسة الماجستير في التاريخ. وكانت السنوات التأسيسية الأولى ليست سهلة إلا أن الصعوبات ذللت بفضل همة رئيس الجامعة وحزمه ورعاية جلالة الملك الحسين بن طلال رحمه الله للجامعة حيث أرادها أن تكون جامعة تضم كل المذاهب وتتوافق فيها كافة الفئات الإسلامية وتقوم على قواعد المرونة والشفافية والتوفيقية. ومن هنا كانت الجامعة تضم أعدادًا من الطلبة العرب وخاصة العُمانيين والمسلمين مثل الماليزيين والأندنوسيين وغيرهم.

لقد استقريتُ والعائلة في مدينة المفرق والتحق أفراد العائلة بمدارسهم إلا أن وصول بناتي إلى مرحلة الكلية اضطرني بعد سنتين للانتقال إلى العاصمة عمّان. وكان باص الجامعة ينقلنا ذهابًا وإيابًا من عمان إلى المفرق. ولكني بعد سنوات استأجرت في المفرق "ستوديو" للاستراحة فيه ليلة أو ليلتين خلال الأسبوع.

بقيت في جامعة آل البيت عشر سنوات شغلت خلالها منصب رئيس قسم لمدة أربع سنوات، وكذلك منصب مدير وحدة الدراسات العمانية التي تأسست في الجامعة سنة 1998م بالتعاون والدعم المالي من سلطنة عُمان. وفي جامعة آل البيت تعرَّفت لأول مرة بالطلبة العُمانيين الذين كانوا يدرسون البكالوريوس (تاريخ وفقه) وكذلك طلبة الماجستير بالدراسات الفقهية حيث كنت مشرفًا مشاركًا على العديد من الأطروحات الفقهية والعقيدية. وقد أذهلتني حادثة استثنائية قام بها أحد الطلاب الذين حصلوا على "الدكتوراه" حيث قدّم مذكرة إلى وزارة التعليم العالي الأردنية سنة 2003م أو قبلها يقترح فيها الاستغناء عن الأساتذة العراقيين واستبدالهم بحملة الدكتوراه الجدد في البلد. فكان جواب الوزارة أن لا مجال للمقارنة بين أساتذة بدرجة (بروفسور) ولهم بحوث وكتب وخبرة تزيد على الثلاثين سنة في مجال اختصاصهم وبين شخص حصل على الدكتوراه قبل أشهر!! وقد أردت من خلال الإشارة إلى هذه الظاهرة الاستثنائية أن أقول بأن الخلق فوق العِلم وأن هناك وسائل أخرى للوصول إلى ما يريده الشخص بدل هذه الوسيلة. وربما كانت هناك حالات استثنائية مثلها أو أكثر مرارة من هذه الحالة في العراق والبلاد العربية والأجنبية.

ولم تكن سنوات التسعينيات أقل فاعلية من عقدي الثمانينيات والسبعينيات. فقد كان أ.د. محمد عدنان البخيت محبًا للبحث العلمي وخاصة في موضوع التاريخ الذي كان متخصصًا فيه، وقد وجدت فيه ملاذًا لتحقيق العديد من مشاريعي البحثية التي كانت تنشر على هيئة كتب باسم جامعة آل البيت أو باسم (وحدة الدراسات العُمانية) التابعة للجامعة. لقد كان من نصيب قسم التاريخ مقررين ضمن متطلبات الجامعة. وقد ألفت كتاب **(المدخل إلى تاريخ آل البيت)** 1999م متطلب جامعة، وشاركت وترأست تحرير الكتاب الثاني **(المدخل إلى التاريخ الإسلامي)** متطلب جامعة، سنة 2001م، كما نشرت لي وحدة الدراسات العمانية كتابين عن عمان هما: الإمامة الإباضية في عمان سنة 1997م، ودراسات في تاريخ عمان سنة 2000م. ونشرت لي جامعة آل البيت أيضًا كتابًا باللغة الإنكليزية هو **(دراسات مترجمة في تاريخ الفرق الإسلامية في العصر الوسيط)**، سنة 2001م. كما كان نشاطي في مجال أطروحات الدراسات العليا فعّالاً حيث أشرفت على عدد من الأطروحات في جامعة آل البيت وشاركت في مناقشة عددًا أكبر في الجامعات الأردنية الأخرى.

إنّ هذا النتاج الثر لم يكن ليظهر لولا رعاية وتشجيع رئيس الجامعة أ.د. محمد عدنان البخيت الذي شغلته مهمة تأسيس جامعة آل البيت وأبعدته عن البحث العلمي الذي يحبه، فرأى في تشجيع الآخرين على البحث وسيلة للتعويض، ولعمري فهي صفة نادرة قلّما نجدها عند الأكاديميين الذين ينظرون إلى زملائهم منافسين فيعيقون نتاجهم ما أمكن حسدًا من عند أنفسهم، أما البخيت، ومن خلال تجربة شخصية معه، فكان يبتهج حين أقدّم له أحد نتاجاتي للنشر.

وفيما عدا هذا وذاك نشرت من خلال دور النشر بالمملكة الأردنية الهاشمية عددًا آخر من الكتب بين سنتي 1994 – 2004م يجدها القارئ في قائمة الكتب المنشورة.

لقد كان استقراري والعائلة في المملكة الأردنية الهاشمية سواء في المفرق أولاً ثم في عمّان من أحسن فترات حياتنا طمأنينة وأمانًا، فلم نشعر بأننا غرباء، وقد أحسنت ابنتي حنان في إيجازها للوضع في ذكرياتها حين قالت وهي تتكلم عن نفسها: "**واستقرت في الأردن الذي تنفست هواءه وشربت ماءه حتى صار جزءًا من حياتها ووجدت في أهله ما أنساها غربتها فلم يفرقوها عن أنفسهم ولم تفرّقهم عن أهلها...**".

وفي عمان وللمرة الثانية يتصل بي أستاذي المشرف عارضًا علي العمل في الويلايات المتحدة الأمريكية، حيث كان قد انتقل من بريطانيا، إلى قسم دراسات الشرق الأوسط، جامعة برنستون)، لكني أبديت عدم الرغبة وسط استغرابه واقترحت العمل في بريطانيا إن أمكن، إلا أنه أشار أنه منذ ترك جامعة لندن أصبح بعيدًا عن الجو الأكاديمي هناك..

وفي صيف 2004م كنت قد انتهيت في التو من توقيع عقد جديد مع جامعة آل البيت في عهد رئيسها الجديد الأستاذ الدكتور سلمان البدور، اتصل بي هاتفيًا عميد كلية الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعة السلطان قابوس في سلطنة عُمان. الدكتور عصام بن علي الرواس ودعاني للالتحاق بكلية الآداب في السلطنة. فشكرته على الثقة وأخبرته أنني وقعت عقدًا مع جامعة آل البيت ولابد أن أحترم العقد. ولكن فاجأني مرة ثانية قائلاً بأنه اتصل برئيس جامعة آل البيت وأعلمه بقرار كلية الآداب والعلوم الاجتماعية الاستفادة من خدماتي، وأن رئيس الجامعة قد ترك الخيار لي.

وإزاء هذين الموقفين النبيلين لم يكن بوسعي إلا الموافقة مهما كلفني الأمر من غربة عن عائلاتي التي كان بعض أفرادها لا يزالون في مراحل مختلفة من الدراسة الثانوية والجامعية في الأردن. فقد قررت إبقاءهم في الأردن لتعودهم على المقررات والبرامج الدراسية الأردنية.

انقطعت صلتي بجامعة آل البيت ولكن لم تنقطع مؤثراتها وخاصة ندوات وحدة الدراسات العُمانية، كما ولم تنقطع صلتي بعمّان والأردن حيث عائلتي ولا زلتُ أحمل بطاقة إقامة في المملكة الأردنية أجددها كل سنة. كما وأن الأستاذ الدكتور عدنان البخيت يستعين بي في مجال تقديم الخبرة العلمية في تقييم البحوث.

وفي جامعة السلطان قابوس ومكتبتها وكذلك ما تحويه (غرفة عمان) من مؤلفات وجدت فرصة جديدة في العمل البحثي والإشراف على طلبة الدراسات العليا وفي إعادة ترتيب أوراقي البحثية وخططي في التأليف فقد أصدرت كتاب **(الموجز في تاريخ عُمان في العصر الإسلامي)**، كما شاركت وأشرفت على تحديث كتاب متطلب جامعة بعنوان **(تاريخ عُمان ودراسات في الحضارة الإسلامية)** وهي فرصة مشابهة للفرصة التي تهيأت لي بجامعة آل البيت في رئاسة تحرير كتاب من متطلبات الجامعة.

ومن عُمان أعدت تنقيح ونشر عددًا من كتبي القديمة في دور نشر أردنية وجمعت ما استطعت جمعه من بحوثي المنتشرة في المجلات التاريخية وأعدت نشرها في كتب جديدة. ونشر لي مركز زايد للتراث والتاريخ عددًا من الكتب مثل: **(مصادر التاريخ العُماني)** و**(التدوين التاريخي عند المسلمين)** و**(نقد الرواية التاريخية عند المسلمين)** على التوالي.

ومنذ سنة 2007م استلمت رئاسة قسم التاريخ بكلية الآداب والعلوم الاجتماعية، وأعددت مع لجنة الدراسات العليا بالقسم (مشروعًا لدراسة الدكتوراه) في التاريخ الذي سيرى النور قريبًا بعد اجتيازه الإجراءات الأكاديمية. كما وأن التعاون بين قسم التاريخ (ومركز الدراسات العُمانية) بالجامعة غدا أكثر فاعلية حيث تزخر خطط المركز بالعديد من المشاريع المستقبلية في عهد مديرها الجديد محسن الكندي.

إنني أنظر إلى ما قمت به في تاريخ عمان بعين الرضا. فمنذ تواجدي بجامعة آل البيت نشرت لي وحدة الدراسات العُمانية بالجامعة عددًا من الكتب والبحوث أشرت إليها سابقًا. وبعد أن التحقت بجامعة السلطان قابوس نشرت كتابين في تاريخ عُمان، بالإضافة إلى عدد من البحوث والمقالات، ومن ضمنها عدد من المداخل في (الموسوعة العُمانية).

ولابد من الإشارة إلى أن علاقتي بدور النشر الأردنية لم تنقطع بعد ذهابي إلى سلطنة عُمان رغم ما وجدته من فرق في التعامل بين دور النشر الأهلية ومراكز البحوث والدراسات حيث تعاملت خلال مشواري العلمي مع الطرفين، فنشرت في دور نشر في بغداد وبيروت ودمشق وعمّان، كما كتبتُ لمراكز بحوث ومؤسسات علمية مثل مركز زايد للتراث والتاريخ (العين) ومنظمة التربية والثقافة والعلوم (اليونسكو)، باريس، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (تونس)

ومركز دراسات الشرق الأوسط، عمّان، ومؤسسة الموسوعة العمانية (مسقط)، وقبل ذلك مع مؤسسة دائرة المعارف الإسلامية ومؤسسة دائرة المعارف البريطانية، ومؤسسة اليابان (طوكيو)، والمجموعة العالمية للتطوير (أبو ظبي) حيث ساهمت ببحث ضمن كتاب عن تاريخ إمارة أبو ظبي، ويمكنني القول من خلال التجربة أن المؤلف العربي مغبون لا يمنح ما يستحقه من مكافأة لقاء عمله المضني في التأليف. وإذا تركنا مراكز البحوث والمنظمات الرسمية فمكافأتها معقولة إلى حد ما، فإن دور النشر الأهلية تأخذ في العادة من المؤلف مبلغًا لنشر كتابه الذي يغدو ملكًا لها، فهو إضافة إلى جهده في التأليف يدفع مالاً من أجل نشر كتابه ويتنازل عن ملكية كتابه، وفي أحسن الأحوال فإن دور النشر لا تتقاضى مبالغ من المؤلفين المعروفين على الساحة الثقافية ولكنها توقع معهم عقدًا، يقضي بالتنازل عن ملكية الكتاب إلى دار النشر مع إعطائه عددًا من النسخ المحدودة وحفنة من النقود يخجل المؤلف من ذكرها..!! فهناك والحالة هذه بون شاسع بين المؤلف العربي والمؤلف في أقطار أجنبية أخرى. وهذا يذكّرني بقول المؤرخ الكبير جواد علي في مقدمة كتابه ذي الأجزاء العديدة **(تاريخ العرب قبل الإسلام)**، "لولا الرغبة والحرص على الكتابة لما أقدمتُ على التأليف"!!

إن رحلاتي العلمية المكوكية أو الماراثونية انتهت بي في الوقت الحاضر 2010م في مسقط بسلطنة عُمان.

ويبقى العِلم عند الله تعالى الذي يرعى المسيرة ويقدم العون عما تخبؤه الأيام المقبلة.

**وهنا أذكر بالامتنان والعرفان بالجميل زوجتي وشريكة حياتي ليلى وجيه علي نجا، أم هالة وندى وحنان وحارث التي لازمتني في رحلاتي في البلدان، وكانت العون في مسيرتي. وأدت واجبها وكيلة وكفيلة وشريكة في الحفاظ على البيت والأسرة خير أداء، جزاها الله تعالى وذرّيتها عني خير جزاء.**